

## النوع الثاني الأربعون معرفة كتاب اللغة من فوائد

الأولى: قال ابن فارس في فقه اللغة -باب القول على الخط العربي وأول من كتب به-: يروى أن أول من كتب الكتاب العربيّ والسريانيّ والكتب كلها آدمٌ -عليه السلام- قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبها في طين وطبخه، فلما أصاب الأرض الغرقُ وجد كل قوم كتابًا فكتبوه، فأصاب إسماعيل -عليه السلام- الكتاب العربيّ.

قلت: هذا الأثر أخرجه ابن أشتة في كتاب المصاحف بسنده عن كعب الأحبار. ثم قال ابن فارس: وكان ابن عباس يقول: أول من وضع الكتاب العربيّ إسماعيل -عليه السلام- وضعه على لفظه ومنطقه.

قلت: هذا الأثر أخرجه ابن أشتة والحاكم في المستدرک من طريق عكرمة، عن ابن عباس، وزاد أنه كان موصولاً حتى فرقه بين ولده، يعني: أنه وصل فيه جميع الكلمات ليس بين الحروف فوق هكذا: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم فرقه بين ابنه هميسع وقيدر. ثم قال ابن فارس: والروايات في هذا الباب تكثُر وتختلف.

قلت: ذكر العسكري عن الأوائل في ذلك أقوالاً، فقال: أول من وضع الكتاب العربيّ إسماعيل -عليه السلام- وقيل: مُرَيم بن مُرّة، وأسلم بن جدرة؛ وهما من أهل الأنبار، وفي ذلك يقول الشاعر:

كتبت أبا جاد وحُطّي مرامرٍ      وسودت سربالي ولست بكاتب<sup>(١)</sup>

وقيل: أول من وضعه، أبجدٌ وهوزٌ وحطيٌ وكلمن وسعفص وقرشت، وكانوا ملوكًا فسُمي الهجاء بأسمائهم.

(١) البيت من الطويل، لم نقف عليه.

وأخرج الحافظ أبو طاهر السلفي في الطيوريات بسنده، عن الشعبي قال: أول العرب الذي كتب بالعربية: حرب بن أمية بن عبد شمس، تعلم من أهل الحيرة، وتعلم أهل الحيرة من أهل الأنبار.

وقال أبو بكر بن أبي داوود في كتاب المصاحف: حدثنا عبد الله بن محمد الزهري، حدثنا سفيان، عن مجالد، عن الشعبي قال: سألنا المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا: تعلمنا من أهل الحيرة، وسألنا أهل الحيرة: من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا: من أهل الأنبار.

ثم قال ابن فارس: والذي نقوله فيه: إن الخط توقيف؛ وذلك لظاهر قوله -تعالى-: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٤، ٥]، وقوله -تعالى-: ﴿رَبِّ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

وإذا كان كذا فليس بعيد أن يوقف آدم -عليه السلام- أو غيره من الأنبياء -عليهم السلام- على الكتاب، فأما أن يكون مخترع اخترعه من تلقاء نفسه، فشيء لا يُعلم صحته إلا من خبر صحيح.

قلت: يؤيد ما قاله من التوقيف ما أخرجه ابنُ أشتة من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أول كتاب أنزله الله من السماء "أبو جاد".

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، عن أبي ذر: أن النبي ﷺ قال: "أول من خط بالقلم إدريس عليه السلام" (١).

قال ابن فارس: وزعم قوم أن العرب العاربة لم تعرف هذه الحروف بأسائها، وأنهم لم يعرفوا نحوًا ولا إعرابًا، ولا رفعًا ولا نصبًا ولا همزًا، قالوا: والدليل على ذلك ما حكاه بعضهم عن بعض الأعراب أنه قيل له: أتمهم إسرائيل؟ فقال: إني إذن لرجلٌ سوء قالوا: وإنما قال ذلك؛ لأنّه لم يعرف من الهمز إلا الضغظ والعصر، وقيل لآخر: أتجر فلسطين؟ فقال: إني إذن لقوي! قالوا: وسمع بعض فصحاء العرب ينشده:

(١) كشف الخفاء: ١: ٣١٤.

نحن بني علقمة الأخيَّاراً<sup>(١)</sup>

فقيل له: لم نصبت بني؟ فقال: ما نصبته، وذلك أنه لم يعرف من النصب إلا إسناد الشيء.

قالوا: وحكى الأخفش عن أعرابي فصيح أنه سُئل أن ينشد قصيدة على الدال فقال: وما الدال؟ وحكى أن أبا حية النميري سُئل أن ينشد قصيدة على الكاف، فقال<sup>(٢)</sup>:  
كفى بالنأي من أسماء كافٍ وليس لخبها إذ طال شاف<sup>(٣)</sup>

قال ابن فارس: والأمر في هذا بخلاف ما ذهب إليه هؤلاء، ومذهبنا فيه التوفيق فنقول: إن أسماء هذه الحروف داخلَةٌ في الأسماء التي أعلم الله - تعالى - أنه علمها آدم - عليه السلام - وقد قال - تعالى -: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٤]؛ فهل يكون أول البيان إلا علم الحروف التي يقع بها البيان؟ ولم لا يكون الذي علم آدم الأسماء كلها هو الذي علمه الألف والباء والجيم والدال؟ فأما من حكى عنه الأعراب الذين لم يعرفوا الهمز والجر والكاف والدال، فإننا لم نزعم أن العرب كلها مدراً ووبراً قد عرفوا الكتابة كلها، والحروف أجمعها، وما العرب في قديم الزمان إلا كنحن اليوم، فما كل أحد يعرف الكتابة والخط والقراءة، وأبو حية كان أمس وقد كان قبله بالزمن الأطول من كان يعرف الكتابة ويخط ويقرأ، وكان في أصحاب رسول الله ﷺ كاتبون، منهم: عثمان وعلي وزيد وغيرهم، وقد عرضت المصاحف على عثمان فأرسل بكتِّفِ شاة إلى أبي بن كعب فيها حروف فأصلحها، أفيكون جاهل أبي حية بالكتابة حجة على هؤلاء الأئمة؟ والذي نقوله في الحروف هو قولنا في الإعراب والعروض، والدليل على صحته هذا وأن القوم قد تداولوا الإعراب أنا نستقري<sup>(٤)</sup> قصيدة الخطيئة التي أولها:

(١) الرجز في الصحابي غير منسوب.

(٢) هو: أبو حية النميري، سبق.

(٣) البيت من الوافر، وهو مفرد في ديوانه.

(٤) نستقري: نستبع.



ومن الدليل على عِرْفان القدماء من الصحابة وغيرهم بالعربية كتابتهم المصحف على الذي يعلله النحويون في ذوات الواو، والياء، والهمز، والمد، والقصر، فكتبوا ذوات الياء بالياء، وذوات الواو بالألف، ولم يصوروا الهمزة إذا كان ما قبلها ساكنًا في مثل: الخبء والدفء والملاء، فصار ذلك كله حجة، وحتى كره من كره من العلماء ترك اتباع المصحف. انتهى كلام ابن فارس.

وقال ابن دريد في أماليه: أخبرني السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبي، عن عوانة قال: أول من كتب بخطنا هذا وهو: الجزم مُرَامِرِين مُرَّةً وأسلم بن جَدْرَةَ الطائيان، ثم علموه أهل الأنبار، فتعلمه بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك الكندي صاحب دُومَةَ الجندل، وخرج إلى مكة، فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان، فعلم جماعة من أهل مكة، فلذلك كثر من يكتب بمكة في قريش، فقال رجل من أهل دومة الجندل من كندة يَمُنُّ على قريش بذلك:

فقد كان ميمونَ النقييةِ أزهراً	لا تَجْحَدُوا نَعْمَاءَ بِشْرِ عَلَيْكُمْ
من المال ما قد كان شتى مبعثرا	أناكم بخط الجَزْمِ حتى حفظتمو
وطامتتمو ما كان منه منفرا	أتقنتتمو ما كان بالمال مُهَمَّلاً
وضاهيتمو كَتَّابِ كسرى وقيصرا	فأجريتُمُ الأَقلامَ عَوْدًا وَبَدَاةً
وما زَبِرت في الصحف أقبال حميرا <sup>(١)</sup>	وأغْنيتتمو عن مُسْنِدِ الحَيِّ حَمِيرِ

وقال الجوهري في الصَّحاح: قال شَرْقي بن القَطامي: إن أوَّل من وضع خطنا هذا رجال من طيِّ منهم مُرَامِرِين مرة، قال الشاعر:

تعلمت باجساد وآل مرامر  
وسودت سربالي ولست بكاتب

وإنما قال: "آل مرامر"؛ لأنه قد سمي كل واحد من أولاده بكلمة من "أبي جاد" وهم ثمانية.

(١) الأبيات من الطويل، لم تقف عليها.

وقال أبو سعيد السِّيرافي: فَصَّلَ سيبويه بين "أبي جاد" و"هَوَّز" و"حطى"؛ فجعلهن عربيات، وبين البواقي فجعلهن أعجميات، وكان أبو العباس يميز أن يكون كلهن أعجميات، وقال من يحتج لسيبويه: جعلهن عربيات؛ لأنهن مفهومات المعاني في كلام العرب، وقد جرى أبو جاد على لفظ لا يجوز أن يكون إلا عربياً تقول: "هذا أبو جاد"، و"رأيت أبا جاد"، و"عجبت من أبي جاد"، قال أبو سعيد: ولا تبعد فيها العجمة؛ لأن هذه الحروف عليها يقع تعليم الخط بالسرياني وهي معارف، وقال المسعودي في تاريخه: قد كان عدة أمم تفرقوا في ممالك متصلة؛ منهم المسمى بـ"أبي جاد، وهَوَّز، وحطي، وكلمن، وسعفص، وقرشيات"، وهم بنو المحصن بن جندل بن يصعب بن مدين بن إبراهيم الخليل -عليه السلام-.

وأحرف الجُمَّل هي أسماء هؤلاء الملوك وهي الأربعة والعشرون حرفاً التي عليها حساب الجُمَّل، وقد قيل في هذه الحروف غير ذلك، فكان «أبجد» ملك مكة وما يليها من الحجاز، وكان «هوز» و«حطي» ملكين بأرض الطائف، وما اتصل بها من أرض نجد، و«كلمن» و«سعفص» و«قرشيات» ملوكاً بمدين، وقيل: ببلاد مضر، وكان «كلمن» على أرض مدين وهو ممن أصابه عذاب يوم الظُّلَّة مع قوم شعيب، وكانت جارية ابنته بالحجاز، فقالت ترثي «كلمن» أباهما بقولها:

هَلِكْهُ وَسَطُ الْمَحَلَّةِ  
حَتْفُ نَابٍ وَسَطُ ظَلَّةِ  
دَارِ قَوْمِي مُضْمَجَلِه<sup>(١)</sup>

كَلْمُونٌ هَدْرُ كَنِي  
سَيِّدِ الْقَوْمِ أَتَاهِ  
كَوْنَتِ نَارًا فَأُضْحَتِ

وقال المنتصر بن المنذر المدني:  
أَتَيْتُ بِهَا عَمْرًا وَحِيَّ بَنِي عَمْرٍو  
كَمَثَلِ شِعَاعِ الشَّمْسِ فِي صُورَةِ الْبَدْرِ  
قَطُورًا وَفَازُوا بِالْمَكَارِمِ وَالْفَخْرِ

وَقَالَ الْمُنْتَصِرُ بَنَ الْمُنْذِرِ الْمَدِينِي:  
الْأَيَا شَعِيبٌ قَدْ نَطَقَتْ مَقَالَةٌ  
هُمُّ مَلَكُوا أَرْضَ الْحِجَازِ بِأَوْجِهٍ  
وَهُمَّ قَطَنُوا الْبَيْتَ الْحَرَامَ وَزِينُوا

(١) الأبيات من الرمل.

ملوك بني حطبي وسعفص في الندي وهوّز أرباب الثيّبة والحجر<sup>(١)</sup>

وقال الخطيب في المتفق والمفترق: أخبرنا علي بن المحسن التتوخي: حدثنا أحمد بن يوسف الأزرق: أخبرنا عمي إسماعيل بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول: حدثني أبو الفوارس بن الحسن بن منبه أحمد اليربوعي: حدثنا يحيى بن محمد بن حشيش المغربي القرشي: حدثنا عثمان بن أيوب من أهل المغرب: حدثنا بهلول بن عبيد التجيبي، عن عبد الله بن فروخ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن أبيه قال: قلت لابن عباس: معاشر قريش، من أين أخذتم هذا الكتاب العربي قبل أن يُبعث محمد ﷺ، تجمعون منه ما اجتمع، وتفرقون منه ما افترق مثل الألف واللام؟ قال: أخذناه من حرب بن أمية، قال: فممن أخذه حرب؟ قال: من عبد الله بن جُدعان، قال: فممن أخذه ابن جُدعان؟ قال: من أهل الأنبار، قال: فممن أخذه أهل الأنبار؟ قال: من أهل الحيرة، قال: فممن أخذه أهل الحيرة؟ قال: من طارئ طراً عليهم من اليمن من كندة، قال: فممن أخذه ذلك الطارئ؟ قال: من الخفلةجان بن الوهم كاتب الوحي هود - عليه السلام -.

وفي فوائد النَّجَيرَمِيّ بخطه: قال عيسى بن عمر النحوي: أملى عليّ ذو الرُّمة شعراً، فبينما أنا أكتبه إذ قال لي: أصلح حرف كذا وكذا، فقلت له: إنك لا تخطّ، قال: أجل، قدم علينا عراقي لكم، فعلم صبياننا؛ فكنت أخرج معه في ليالي القمر، فكان يخط لي في الرمل فتعلمته. وقال القالي في أماليه: حدثني أبو الميَّاس، قال: حدثني أحمد بن عبيد بن ناصح، قال: قال الأصمعي: قيل لذي الرُّمة: من أين عرفت الميم لولا صدق من ينسبك إلى تعليم أولاد الأعراب في أكتاف الإبل؟ فقال: والله ما عرفت الميم، إلا أني قدمت من البادية إلى الريف، فرأيت الصبيان وهم يجوزون بالفجرم في الأوق، فوقفت جياهم أنظر إليهم، فقال غلام من الغلّمة: قد أرفتم هذه الأوق، فجعلتموها كالميم، فقام غلام من الغلّمة فوضع فمه في الأوقه فَنَجَنَجَه، فأفهبها، فعلمت أن الميم شيء ضيق فشبّهت عين ناقتي به، وقد اسلّهمّت وأعيت،

(١) الأبيات من الطويل، لم تقف عليها.

قال أبو الميَّاس: «الفَجْرَم»: الجوز، قال القالي: ولم أجد هذه الكلمة في كتب اللغويين ولا سمعتها من أحد من أشياخنا غيره.

و«الأوقة»: الحفرة، وقوله: «أزفتم»، أي: ضيقتم، و«نَجَنَجَه»: حرَّكه، و«أفهبها»: مَلأها، و«المنجم»: العقب، وكل ما نتأ وزاد على ما يليه فهو «منجم» أيضًا، و«اسلَهَمَت»: تغيرت، و«المسلهَم»: الضامر المتغير.

## فائدة:

قال الزَّجاجي في شرح أدب الكاتب: روي عن ابن عباس، في قوله -تعالى-: ﴿أَوْ أَثْرَقَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤]، قال: الخط الحسن، وقال -تعالى- حكاية عن يوسف - عليه السلام-: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ﴾ [يوسف: ٥٥]، قال: كاتب حاسب، وقال -تعالى-: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١]، قال بعض المفسرين: هو الصوت الحسن، وقال بعضهم: هو الخط الحسن.

وقال صاحب كتاب زاد المسافر: الخط لزيد لسان، وللخَلْدِ تَرْجَمَان، فَرْدَاءُ تَه زَمَانَة الأدب، وجودته تبلغ بصاحبه شرائف الرتب، وفيه المرافق العظام التي مَنْ الله بها على عباده فقال -جل ثناؤه-: ﴿أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ٣]، وروى جبير عن الضحَّاك، في قوله -تعالى-: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٤]، قال: الخط، وقيل في قوله -تعالى-: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ﴾ [يوسف: ٥٥]، أي: كاتب حاسب، وهو لمحة الضمير، ووحى الفكر، وسفير العقل، ومستودع السر، وقيد العلوم والحكم، وعنوان المعارف، وترجمان الهمم. وأما قول الشيباني: ما استجدنا خط أحد إلا وجدنا في عوده خورًا، فهل يسف إليه الفقهاء، ويتجافى عنه الكتاب والبلغاء؟ ولا يثاره أبينه، حرم أجوده وأحسنه.

ولما أعجب المأمون بنخط عمرو بن مسعدة، قال له: يا أمير المؤمنين، لو كان الخط فضيلة لأوتيه النبي ﷺ، ولئن سرَّ بها قاله عن ابن عباس فقد أنكره عليه كثير من عقلاء الناس، إذ الأنبياء -عليهم السلام- يجلُّون عن أشياء ينال غيرهم بها خصائص المراتب، ويُجْرَز بالانتماء إليها عقائل المواهب، ومن أهل الجاهلية نفر ذو عدد كانوا يكتبون، والعرب

إذ ذاك من عزّ بزّ، منهم: بشر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل، وسفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة، وعمرو بن عمرو بن عدس.

ومن اشتهر في الإسلام بالكتابة من عليّة الصحابة: عمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، وأبو عبيدة، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ويزيد بن أبي سفيان، وأقسم بالقلم في الكتاب الكريم، وأحسن عدّي<sup>(١)</sup> حيث شبه به قرن الرّيم:

تُرْجِي أَغْنَنَّ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مَدَادَهَا<sup>(٢)</sup>

وهو أمضى بيد الكاتب من السيف بيد الكميّ، وقد أصاب ابن الرومي<sup>(٣)</sup> في قوله شاكلة الرمي:

كَذَا قَضَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ إِذْ بُرِيَتْ أَنْ السُّيُوفَ لَهَا مَذْأُزْهَفَتْ حَدَمُ<sup>(٤)</sup>

(١) هو: عدّي بن الرقاع العاملي (٩٥ هـ / ٧١٤ م): عدّي بن زيد بن مالك بن عدّي بن زيد بن مالك بن عدّي بن الرقاع من عاملة. شاعر كبير، من أهل دمشق، يكنى أبا داود. كان معاصراً لجرير، مهاجياً له، مقدماً عند بني أمية، مداحاً لهم، خاصة بالوليد بن عبد الملك. لقيه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام، مات في دمشق.

(٢) البيت من قصيدة مطلعها:

عَرَفَ الدِّيارَ تَوْهُماً فَأَعْتادَهَا وَمِنَ بَعْدِ مَا سَوَّلَ السَّبِيلَ أَبْلادَهَا

والبيت من الكامل.

(٣) ابن الرومي (٢٢١ - ٢٨٣ هـ / ٨٣٦ - ٨٩٦ م): علي بن العباس بن جريح أو جورجيس، الرومي. شاعر كبير، من طبقة بشار والمتنبي، رومي الأصل، كان جده من موالي بني العباس. ولد ونشأ ببغداد، ومات فيها مسموماً قيل: دس له السمّ القاسم بن عبيد الله - وزير المعتضد - وكان ابن الرومي قد هجاه. قال المرزباني: لا أعلم أنه مدح أحداً من رئيس أو مروّوس إلا وعاد إليه فهجاه، ولذلك قلت فاندته من قول الشعر وتحاماه الرؤساء وكان سبياً لوفاته. وقال أيضاً: وأخطأ محمد بن داود فيما رواه لمثقال (الوسطي) من أشعار ابن الرومي التي ليس في طاقة مثقال ولا أحد من شعراء زمانه أن يقول مثلها إلا ابن الرومي.

(٤) البيت من قصيدة مطلعها:

إِنْ يَخْدَمُ الْقَلَمُ السُّيْفُ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفَهُ الْأَسْمُ

والبيت من البسيط.

وكان المأمون يقول: لله دَرُّ القلم! كيف يحوك وشي الملكة؟ ووصفه عبد الله بن المعتز فقال: يخدم الإرادة، ولا يمل الاستزادة، فيسكت واقفًا؛ وينطق سائرًا على أرض بياضها مظلم وسوادها مضيء.

وقال أرسطو طاليس: عقول الرجال تحت أسنان أقلامها. وقال علماءنا: إن أول من خط بالقلم إدريس - عليه السلام - فمتى وضع الخط العربي وسُطّر المسند الحميري. وقد ذكر أن لغة يونان عارية من حرف الخلق، ومخالفة لسائر لغات الخلق.

